طرف عن عُمـــــان

تحت هـذا العنوان سبق لنا مقال نشرناه فى العدد السابع من مجلة كاظمة التى كان يصدرها الأستاذ الكبير (السقاف) وقد ترددت فيه كلمة غافرى وهنائى ، ووعدنا فى ختامه أن نأتى بإيضاح عن هاتين الكلمتين اللتين يحملان اسم الغافرى والهنائى لجميع قبائل عمان ، ولما أن سدت تلك المجلة انقطع سبب الاتصال بذلك المقال ، ونعود الآن فنقول أن بنى غافر الذين منهم محمد بن ناصر الغافرى رأس هذه الدعوة يمتون بنسبهم (كما ذكره العلامة الشيخ عبد الله السالمى فى تحفة الأعيان) إلى أسامة بن لؤى بن غالب من قريش ، وقريش سنام مضر ودعامة نزار ، وأن الهنائيين الذين منهم خلف بن مبارك بالقصير ، والمناوئى لمحمد بن ناصر ينتمون إلى عمرو بن هناءة بن مالك بن فهم الأزدى ، وأن محمداً هذا وخلفاً كانا فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل الثالث عشر للهجرة ، وكان كل من تعصب لمحمد بن ناصر من القبائل ، سُمى غافرياً وكذلك كل من انحاز إلى خلف بن مبارك سمى هنائياً ، وأن فى كثير من قبائل بنى غافر التى تحمل اسم النزارى ، قبائل وفيرة العدد من القبائل اليمانية كبنى قتب فى الشمال ، وبنى جنب فى الجنوب وأن الأمير الكبير سليمان بن حمير النبهانى حاكم بلاد الجبل الأخضر اليوم وغيره من منطقة الظاهرة فى عمان ، قحطانى الأصل ، غافرى النزعة . كما أن فى القبائل الهنائية كثيراً من القبائل النزارية كبنى رواحة من غطفان ، وبنى ذهل من شيبان وغيرهما .

وربما خالفنا من له اطلاع ودراية بأخبار عمان وقال أن الدعوة الغافرية الهنائية ليست لها علاقة بالدعوة النزارية اليمانيـــة ، لوجود هؤلاء بهؤلاء وبالعكس . غير أن هذا ليس بالدليل الواضح ، وحجتنا أنه كان فى ذلك الوقت وقبله فى عمان بلدتان ، واحدة تدعى نزار فيها الغافريون الذين يتسمون بسمة النزاريين ، والثانية تدعى يمن وفيها الهنائيون الذين يحملون اسم اليمانيين .

وكثيراً ماكان يحمل الشعر العامى اسم يمن ونزار ، وأن قصيدة راشد بن راشد الحميرى الهنائى العامية لشاهد صدق على ما نقول ، وإلى القارىء بعض أبياتها :

استارق جفنى وأبعد الهم نومى
عن العين ما لذات الأشيا بكارها
فمن حادث يلفى ومن عظم ما مضى
من الوقت وأيام شديده مدارها
على الخلف جن ابها ديون غوادر
بالأشرار تصبح كل يوم مغارها
ألا وين قومى فرق الله شملهم
جبيلة ياها الجفا من اكبارها
هل الجود والماجود والحرب والجسا
يمانية نذرى بها عن نزارها

وأن قوله يمانية البيت يعطينا فى ذلك الشاهد القاطع على صحة ما نقول . ولقد سمعت من صديق الأستاذ احمد بن سلطان السليم منذ عدة سنين أنه زار المرحوم الشيخ عيسى بن صالح الحارثى زعيم الهنائيين فى الشرقية (من عمان) ، وجرى بينهما البحث وامتد الكلام إلى ذكر القبائل فى عمان ونجد ، واتصل الحديث ، والحديث شجون ، إلى ذكر آل الرشيد والقبائل الشمرية ، فقال الشيخ أن آل رشيد وقومهم من شمر هنائية لأنهم من قبيلة طيىء وطيىء من قحطان .

فانظر مبلغ العصبية هنا من لدن الشيخ عيسى رحمه الله ، وكان على جانب كبير من التقى والورع وكذلك محدثى الأستاذ ، فإنه ساق هذا الخبر وهو مخور بما سمعه ذلك الوقت من الشيخ ، لأنه من قبيلة بنى ياسر زعيمة الهنائيين فى شمال عمان . بيد أنه لايرى رأى من أن الغافرية الهنائية هى النزعة النزارية اليمانية ، وحجته ما سقناه قبل هذا من دخول بعض النزاريين فى الهنائيين وبالعكس ، إلا أن قصيدة راشد بن راشد الحميرى وغيره من الشعراء ، وما رواه الأستاذ نفسه عن الشيخ عيسى بن صالح من جذبه آل الرشيد وقومهم الشمريين فى صف الهنائيين لكونهم من طيىء وطيىء من اليمن ، يثبت ماذهبنا إليه من أن الدعوة الغافرية والهنائية هى نفس الدعوة النزارية واليمانية ، ولا عبرة فى من اندمج بينهما من الحيين .

واذكر إننى قرأت فى تحفة الأعيان لعلامة عمان السالمى ،

ما يثبت الذى ذهبت إليه حين ذكر عنى فتنة الغافرى والهنائى ، وقال أنها هى النزعة النزارية اليمانية ، وعنّف مثيرها ، ولو كان هـذا الكتاب عندى لكنت أثبت الصفحة التى ذكر فيها قوله عنها .

على أن ما أثبتناه من شعر راشد الحميرى الذى يثبت أن قومه (يمانية يذرى بها عن نزارهـا) وعن مبلغ عصبيه الشيخ عيسى بن صـالح من جعله قبيلة شمر هنائية لكونهم من قحطان ؛ يدلنا على أن هذين الأسمين الغافرى والهنائى لا يزالان يحملان اسم النزارى واليمانى ، وأن هذه الدعوة لم يزل نـفَسها يثور بينهم فى كل آونة وأخرى .

تلك الدعوة التى هدت أركان الدولة العربية فى عنفوان مجدها ، وأنهـكت جسم الامبراطورية الأموية ثم قتلتها فى شرخ شبابها ، وقلصت ظل ممتلكاتها البعيدة المدى . ولا بأس من ايراد شواهد من التاريخ عما فعلته تلك الدعوة المشئومة فى العرب من تفرق كلمة ، وذهاب ملك : لعل من يطلع عليها من زعماء قومنا فى عمان يكون له منها مزدجر ، فيقلع عنها أو يخفف على الأقل منها . كيف لا وأنها الدعوة البغيضة التى قضى عليها سيف العرب ، وبانى مجـدهم ، ومنقذهم من شتات الفرقة ، إلى كنف الاجتماع والوحدة . ولقد كان (ص) حريصاً على أن لا يسمعها إذ رحض عنها نفوس العرب رحضا وقال عنها أن هـذه الدعوة منتنة ، فايای ودعوى الجاهلية ، ومن سمعتموه يقولها بعد هذه المرة فاشدخوه بالسيوف . . .

قال هذه المقالة بعد مرجعه من غزوة بنى المصطلق فى السنة السادسة للهجرة بعد المشاجرة التى جرت بين أجير عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » جهجاه بن سعيد الغفارى ، وسنان الجهنى حليف بنى عوف ابن الخزرج حين ازدحما على المـاء ، فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين . فاستغاثها عبـد الله ابن أبى رأس المنـافقين فقال لقومه ما مثلنا ومثل هؤلاء (يعنى الرسول والمهاجرين) إلا كمن قال سمّن كلبك يأكلك .

و لمغت هذه الدعوة حسان بن ثابت وهو ممن لا يشك فى اسلامه ، ولكن العصبية والنخوة الجاهلية حدتاه على أن قال :

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة أمسى بيضـة البلد

ويعنى بقوله الجلابيب المهاجرين كما نبزهم المنافقون من أهل المدينة . وابن الفريعة يعنى نفسه وأمه الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان الخزرجية يفتخر بها . وقال ابن أبىّ حينئذ . لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وكادت أن تأتى هـذه الدعوة بثمرها المشئوم من شجرها الزقوم لو لم يتداركها بحكمته البالغة وبصيرته النافذة ذلك القائد العظيم والرسول الكريم . الذى لا ينطق عن الهوى والمنعوت من العلى الأعلى بقوله وإنك لعلى خلق عظيم ، وأى خلق أعظم من خلق هـذا النبى المفرغ عليه من لدن ذى الجلالة المهابة والجلال ، لقـد كظم غيظه (وإنه لمن الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) فى ساعة تستفز فيها الحلوم الرواجح ، واعرض عن قول عمر لدى سماعه مقالة ابن أبىّ حين قال له : مر يا رسول الله عباد بن بشر بن مرقش فليقتـله ، فقال رسول الله (ص) فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . لا ولكن ائذن بالرحيل ؛ وذلك فى سـاعة لم يكن رسول الله يرتحل فيها . ثم امتد (ص) بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصـدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وذلك رأى من صـائب حكمته ، بأن يشغل الناس عن التحدث بما قال فلان وفلان بالسير الحثيث فى قائم الظهيرة ، وفى اصطخاب الهاجرة ، وفى وقت لم يكن فيه هناك من طلب أو فزع يحدوانه على السير . وجاءه (ص) أثناء سـيره أسيد بن حضير الانصارى يسأله عن غاية سيره الذى لم يكن يألفه منه فى مثل هذه الحالة مع عدم العوامل الحاملة عليه ، فقال أو لم تسمعوا مقالة صـاحبكم وكان قد بلغه إياها زيد بن أرقم .

فقال يا رسول الله انك أنت الأعز وهو الأذل ، ووالله لن يدخلها إن لم ترض عنه ، ثم جاء إليه (ص) ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى ، فقال يا رسول الله أنه قد بلغنى إنك قد أمرت بقتل أبى ، فإن كنت فاعلا فامرنى آتيك برأسه لأنى أخشى أن أقتل قاتل أبى فأكون قد قتلت مسلماً بكافر . فقال (ص) لا بل نحسن صحبته ما صحبنا ، وما لم يبد لنا صفحته ، ولما وصـلوا إلى المدينة اعترض عبـد الله أباه عبـد الله ، وقال له لن تدخلها قبل رسول الله (ص) ولو أمرنى الرسول بقتلك على مقالك لكنت فاعلا ما أمرنى به ، وهنا أبان (ص) لعمر سوء مغبة رأيه بقوله كيف رأيت يا عمر لو أمرنا بقتله أمس لأرعفت له أنف حمدت مقامها اليوم . — يتبع —

الكويت — عبد الله على الصانع